الرّواية النسائية الجزائرية المكتوبة بالعربية (1970–2015) دراسة بيبليوغرافية

د. فايد محمّد / أستاذ محاضر (أ)
المركز الجامعي- تيسمسيلت

- تمهيد: الرّواية.. إشكالية البحث في النشأة

أثارت مسألة نشأة الرّواية في الأدب العربي الكثير من التجاذبات بين نقاد هذا الجنس الأدبي، الّذين اختلفوا في ردّها إلى منبع واحد، وقد نشأ عن ذلك أن انقسمت الآراء في نشأتها بين قائل بأصالتها وارتباطها بالتراث العربي القديم على اعتبار أنّ العربيّ مجبول على حبّ القصص، وفي التراث ما يُغني عن محاولة إقناع من يشكّك بهذا، وبين قائل باستحالة الربط بين الرّواية بشكلها المتعارف عليه وقصص التراث من سِيَر ومقامات وأخبار، ما أدّى إلى تأكيد استلهام الكتّاب للرواية من الآداب الأوربية بعد الاحتكاك بين العرب والغرب في العصر الحديث، وبين الرأي الأوّل والثّاني يتأسّس طرح ثالث يوفّق بينهما، فيؤكّد ثراء التراث بالنماذج القصصية الّتي تَستحقُّ الالتفات إليها والاحتذاء بها، ولا ينفي أهمية الاحتكاك بالغرب، ودوره في تجديد أساليب الكتابة والقص[1].

ولأنّ الرّواية الجزائرية فرع لا ينفصل عن الأصل الّذي هو الرّواية العربية، فإنّها تتأثّر لا محالة بكلّ طارئ تعرفه الرّواية العربية، ولا ضير من الإشارة هنا أنّ نشأة الرّواية الجزائرية المكتوبة بالعربية أثارت هي الأخرى الكثير من النقاشات حول الأصل الّذي ينبغي أن تُردّ إليه، وحول الفترة الّتي ظهرت خلالها[2]، حيث يذهب بعضهم إلى قطع كلّ العلائق بينها وبين إرهاصات الكتابة القصصية قبل الاستقلال، على اعتبار أنّ نص (ريح الجنوب) 1971 لعبد الحميد بن هدوقة هو البداية الفعلية للرواية العربية في الجزائر، في حين يدعو البعض الآخر إلى ضرورة الاعتراف بنشأة الرّواية الجزائرية عربية الرّسم قبل الاستقلال، حيث ظهرت نصوص هي (غادة أمّ القرى) 1947 لأحمد رضا حوحو، و(الطالب المنكوب) 1951 لعبد المجيد الشافعي، و(الحريق) لنور الدين بوجدرة، ويذهب بعض المنتصرين لهذا الطرح إلى اعتبار نص (حكاية العشاق في الحب والاشتياق) 1849 لمحمد بن إبراهيم بأكورة الكتابة الروائية، وبين الطرح الأوّل والثاني ينبني طرح ثالث يوفّق أصحابه بين هذا وذاك، ويَعتبرون ما ظهر من نصوص قبل الاستقلال إرهاصات للكتابة الروائية، تنتج عنها لاحقا ظهور النصوص التأصيلية، الّتي كانت بدايتها مع نص (ريح الجنوب)[3].

هذا الوضع الإشكالي يظل مستمرا إذا انتقلنا إلى الحديث عن الرواية الّتي تكتبها المرأة في الجزائر، خاصة في ظل خواءات زمنية تفصل نص البدايات عن نصوص التأسيس الفعلي، والحق أنّ هذه الورقة البحثية لا تدّعي البتة تقديم رصد دقيق لتفصلات تطوّر الرّواية النسوية الجزائرية المكتوبة بالعربية، بقدر ما تهدف إلى الاقتراب أكثر إلى هذا اللون الإبداعي الذي نعتقد أنّه لمّا ينل بعدُ حقه من الرصد والمتابعة وهذا الأمر لا يتناسب أبدا مع ما تعرفه الساحة من تراكم للنصوص المصنّفة ضمنه.

تنتظم المادة المعرفية المقدّمة في الآتي من محطات ورقتنا البحثية في محورين ترتسم من خلال سؤال النشأة والبيبليوغرافيا، وإن كان هذا الطرح في حقيقته يُعبّر عن همّ بحثي واحد مبتغاه التعريف بالرواية النسوية الجزائرية المكتوبة بالعربية.

- نشأة الرّواية النسائية الجزائرية:

يكتسي البحث في تاريخ الأدب أهمية قصوى، فهو أبرز طرائق تعليم هذا الأخير والتعريف به، ومن هنا اهتمامنا برصد نشأة الرواية النسوية الجزائرية المكتوبة بالعربية، التي تظل من ناحية التطوّر الكمي قليلة بالنظر إلى حجم هذا التراكم في البلدان المغاربية باستثناء موريتانيا.

لقد شكّلت الكتابة الروائية لدى كل من (زوليخة السعودي)، و(زهور ونيسي) ما يشبه البداية في ارتياد عوالم الرواية لدى المرأة الجزائرية-رغم الاحترازات الكثيرة التي ينبغي على الباحث في هذا الباب إعلانها-، لأن كلاهما لم يستمر في العطاء بعد النص الأوّل مباشرة، ولتوضيح ذلك نشير إلى أنّ الكاتبة زوليخة السعودي لم يَصدُر لها إلاّ نص واحد عنوانه (الطوفان)، والأدهى من ذلك أنّ هذا النص ظلّ غير مكتمل حيث نُشر منه ثلاث حلقات لا أكثر، وهي الحلقات التي نشرتها جريدة الحرية بقسنطينة حوالي سنة 1973، وقد كان المشرف على الجريدة آنذاك الروائي الطاهر وطار، في حين لم يصدر للكاتبة (زهور ونيسي) إلا نصها (من يوميات مدرّسة حرة) سنة 1979 ولم تنشر بعده نصا روائيا طيلة أكثر من عقد من الزمان.

يقول واسيني الأعرج عن نص (زوليخة السعودي) غير المكتمل، إنه صدر بُعيد صدور (ريح الجنوب) لعبد الحميد بن هدوقة و(اللاز) للطاهر وطار، حيث ظهرت بعد ذلك "زوليخة السعودي بأوّل رواية نسائية، للأسف غير تامة، عنوانها الطوفان، والتي ظهرت منها ثلاث حلقات في جريدة الحرية التي كان يَشرف عليها الطاهر وطار بقسنطينة في بداية السبعينات، وبقيت هذه الرّواية معلّقة، وهي نص سيرذاتي تستعيد فيه زوليخة السعودي قصة أخيها محمّد والأحداث التي مسّت البلاد بعد الاستقلال"[4]، ويهدف واسيني من خلال ذلك إلى لفت انتباه المهتمين بتاريخ الرواية الجزائرية إلى نص لم تُشر إليه أغلب الدراسات النقدية – في حدود اطلاعنا-

في حين نستطيع اعتبار نص (من يوميات مدرّسة حرّة) لصاحبته (زهور ونيسي) البداية الفعلية للكتابة الروائية النسوية الجزائرية باللغة

العربية، مع ضرورة الإشارة إلى خواءات زمنية طويلة نسبيا تفصل النص غير المكتمل لزوليخة السعودي ونص زهور ونيسي، وأخرى أطول منها تفصل النص الأخير بالنص الثاني في مسيرة زهور ونيسي نقصد روايتها (لونجة والغول) الصادر سنة 1993 وهي سنة صدور النص الجزائري الشهير (ذاكرة الجسد) للروائية (أحلام مستغانمي)، ونستطيع هنا كذلك أن نعتبر النص الثاني لزهور ونيسي والنص الأوّل البداية الفعلية للرواية النسوية الجزائرية المكتوبة بالعربية بالنظر إلى التراكم الحاصل بعد صدورهما.

استنادا إلى ما سبق تشير جل الدراسات المهتمة بالرواية النسوية الجزائرية لحظة الحديث عن نشأتها إلى نصي (الطوفان) لزوليخة السعودي و(من يوميات مدرّسة حرّة) لزهور ونيسي وهو ما يوضحه الجدول الآتي:

الروائية	النص	تاريخ الصدور
زوليخة السعودي	الطوفان (لم يُنشر كاملا)	نشر أجزاء منه بجريدة الحرية
زهور ونيسي	من يوميات مدرّسة حرّة	1979

- بيبليوغرافيا تقريبية:

لا يزال النص الروائي النسائي الجزائري المكتوب بالعربية في مراحل تطوّره الأولى قليلا من حيث تراكمه الكمي، رغم تواتر نصوصه في العقدين الماضيين، ذلك أنه مقارنة بجملة ما صدر من نصوص روائية جزائرية لا يزال في ذيل الترتيب بحوالي الثلاثين نصا روائيا من ما مجموعه (أكثر من 222 رواية) صدرت في الفترة ما بين 1970 و2015، والطرح نفسه يصلح لوصف عدد كتاب الرواية، حيث لا يتجاوز عدد الروائيات اللائي يعبّرن باللغة العربية في الجزائر (20) كاتبة إلاّ بقليل، من ما مجموعه (أكثر من مائة كاتب روائي) خلال الفترة المعلن عنها سابقا.

وذلك ما سنحاول تبيانه من خلال الجداول الآتية[5]:

- عدد الروايات الجزائرية في الفترة ما بين (1970-2010):

	عدد النصوص الروائية
1989/1970	79
2010/1990	143
العدد الإجمالي	222

يبيّن هذا الجدول المنحى التصاعدي الّذي تعرفه الرّواية الجزائرية، وهي الملاحظة نفسها الّتي نستطيع إصدارها حول تطوّر عدد كتّاب الرّواية بالعربية في الجزائر، كما هو مبيّن في الجدول الآتي:

- عدد كُتّاب الرّواية باللّغة العربية في الجزائر في الفترة ما بين (1970-2010):

	عدد كتّاب الرّواية
1989/1970	41
2010/1990	75
العدد الإجمالي	100

وهذا العدد يبشّر بمزيد من التطوّر في الأدب الجزائري، خاصة في ظلّ ظهور كُتّاب جدد، واستمرار عدد لابأس به منهم في الكتابة.

إنّ من بين الملاحظات المهمّة الّتي ينبغي أن نسجّلها هنا، أنّ التأسيس الفعلي للرواية النسائية الجزائرية يقع في الفترة الّتي يشتغل عليها هذا البحث، وبيان ذلك في الجدول الآتي:

- عدد الروايات النسائية الجزائرية المكتوبة بالعربية في الفترة ما بين (1970-2015):

	عدد النصوص الروائية
1990/1970	01
2010/1991	30
2015/2011	12
العدد الإجمالي	43

وكذلك الأمر بالنسبة لعدد الروائيات:

- عدد كاتبات الرّواية باللّغة العربية في الجزائر في الفترة ما بين (1970-2015):

	عدد الروائيات
1989/1970	01
2015/1990	19
العدد الإجمالي	19

- توزيع عدد الروايات على عدد الكاتبات:

حجم التراكم	أسماء الكاتبات	عدد الكتّاب
حالة نص روائي واحد	- عائشة نمري -رشيدة خوازم -سعاد عويمر- فاطمة العقون - إيميليا فريحة	05
حالة نصين	- ربيعة مراح - زهور ونيسي-منى بشلم – هاجر قويدري – مالكي حليمة – أمال بشيري – ربيعة مراح- جميلة زنير.	08
حالة ثلاثة نصوص	- زهرة ديك - بنور عائشة.	02
حالة أربعة نصوص	- زهور ونيسي – أحلام مستغانمي - ياسمينة صالح- فضيلة الفاروق	04

1- الكاتبات اللائي أصدرن رواية واحدة في الفترة ما بين (1970-2015):

- فاطمة العقون: **رجل وثلاث نساء** (1997).
- رشيدة خوازم: **قدَم الحكمة** (2003).
- عائشة نمري: **أجراس الشتاء** (2007).
- إيميليا فريحة: **إلى أن نلتقي** (2007).
- سعاد عويمر: **أوراق الشجن** (2009).

كاتبات يتكوّن رصيدهن من روايتين:

- جميلة زنير: **أوشام بربرية** (2000)
تداعيات امرأة قلبها غيمة (2001).

- مالكي حليمة: **من وحي الألم** (2007).
وداعا أيتها العيون الوردية (2013).
- آمال بشيري: **العالم ليس بخير** (2007).
آخر الكلام (....)
- ربيعة مراح: **النغم الشارد** (2003).
الشاذ (2007).
- هاجر قويدري : **نورس باشا** (2012).
الرايس (2015).
- منى بشلم : **تواشيح الورد** (2012).
أهداب الخشية عزفا على أشواق افتراضية (2013).

كتّاب أصدروا ثلاث روايات:

- زهرة ديك: **بين فكي وطن** (2000).
في الجبة لا أحد (2002).
قليل من العيب يكفي (2009).
- بنور عائشة: **اعترافات امرأة** (2007).
السوط والصدى (2006).
سقوط فارس الأحلام (2009).

كاتبات أصدرن أربع روايات:

- زهور ونيسي: **من يوميات مدرسة حرة** (1979)
لونجا والغول (1993).
جسر للبوح وآخر للحنين (2007).
غريدة المساء (2015).
- أحلام مستغانمي: **ذاكرة الجسد** (1993).
فوضى الحواس (1998).
عابر سرير (2002).
الأسود يليق بك (2012).
- فضيلة الفاروق: **مزاج مراهقة** (1999).
تاء الخجل (2002).
اكتشاف الشهوة (2005).
أقاليم الخوف (2010)
- ياسمينة صالح: **بحر الصمت** (2002).
أحزان امرأة من برج الميزان (2002).
وطن من زجاج (2006).
لخضر (2010)
- ربيعة جلطي: **الذروة** (2010).
نادي الصنوبر (2012)
عرش معشق (2013)
حنين بالنعناع (2015).

د. فايد محمد

إحالات:

1)- للمزيد من التفصيل حول تعدّد الآراء وتضاربها بشأن نشأة الرّواية العربية، نُحيل على بعض الدّراسات، مدعمين ذلك بذِكر الصفحات:

أ- الرّواية العربية أصيلة ونابعة من التراث:

- فاروق خورشيد، في الرّواية العربية .. عصر التجميع، دار العودة- بيروت، ط3، 1979. ص9 و ص75.
- عبد الملك مرتاض، فنّ المقامات في الأدب العربي، الدار التونسية للنشر، ط2، 1988. ص ص 479/473.
- عبد الملك مرتاض، القصّة في الأدب العربي القديم، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط1، 1968، ص ص 19/16.

ب- الرّواية العربية فنّ مستحدث، نشأ بعد الاحتكاك بالثقافة الغربية:

- محمد كامل الخطيب، المغامرة المعقدة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، د.ط، 1976، ص 10.
- عثمان بدري، بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، دار الحداثة- بيروت، ط1، 1986، ص5.
- نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1981، ص ص 409، 410.

ج- استندت الرّواية العربية على التراث، واستقت بعض مكوّناتها من الآداب الغربية:

- محسن جاسم الموسوي، الرّواية العربية.. النشأة والتحوّل، دار الآداب بيروت، ط2، 1988، ص21.
- جورج سالم، المغامرة الروائية، منشورات إتحاد الكتّاب العرب- دمشق، دط، 1973، ص07.
- محمد معتصم، النص السردي العربي الصيَغ والمقوّمات، شركة المدارس للنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص ص 13، 14.

2)- ينظر بخصوص اختلاف الآراء حول الفترة الّتي نشأت خلالها الرّواية الجزائرية عربية الرسم ما يلي:

أ- القائلون بنشأتها قبل الاستقلال:

- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري، الدار التونسية للنشر-تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر، ط3، 1985، ص 88.
- سيد حامد النساج، بانوراما الرّواية العربية، دار المعارف- مصر، ط1، 1980.
- أنيسة بركات درار، أدب النضال في الجزائر (من 1945 حتى الاستقلال)، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1984، ص 177.
- عمار بن زايد، النقد الأدبي الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، 1990، ص 145.

ب- القائلون بنشأتها بعد الاستقلال:

- حسين قحام، صورة الأرض في الأدب القصصي في الجزائر، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حلب، سوريا، 1987، ص 187.

- مصطفى فاسي، دراسات في الرّواية الجزائرية، دار القصبة للنشر- الجزائر، د.ط، 2000. 07.
- إبراهيم سعدي، جدلية الحداثة والتراث في الرّواية الجزائرية، جريدة السفير الثقافي، العدد261، (من 28 ماي إلى 03 جوان 2005)، ص 17.
ج- الموفقون بين الطرح الأوّل والثاني:
- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر، د.ط، 1995، ص 198.
- عايدة أديب بامية، تطوّر الأدب القصصي الجزائري (1967/1925)، ترجمة: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر، د.ط، 1982، ص61.
- ربيعة جلطي، الثورة الزراعية في الأدب الجزائري، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 1984/1983، ص 162.
- واسيني الأعرج، تطوّر ملامح البطل في الرّواية الجزائرية، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، 1985/1984، ص 100، وص123 وما بعدها.
- بشير محمودي، نظرية الرّواية في النقد الجزائري الحديث، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2002/2001، ص .08
3)- ينظر: فايد محمّد، الرّواية المغاربية المكتوبة بالعربية في النشأة والتطوّر، مجلّة المعيار، المركز الجامعي- تيسمسيلت، العدد02، 2010، ص ص 125،127.
4)- واسيني الأعرج، مجمع النصوص الغائبة (أنطولوجيا الرّواية الجزائرية التأسيسية)، منشورات الفضاء الحر، الجزائر، د.ط، 2007. ص 05.
5)- اعتمدنا في إعداد هذه البيبليوغرافيا وإعداد الجداول وفي هذه القراءة عامة على:
- شريفي عبد الواحد، بيبليوغرافيا الرّواية الجزائرية المكتوبة بالعربية، مجلّة دراسات جزائرية، جامعة وهران، العدد01، جوان 1997، ص232،235.
- بوعناني مختار، بيبليوغرافيا الرّواية في الجزائر، مجلة دراسات جزائرية، جامعة وهران، العدد: 02، مارس 2005، ص ص 204/196.
- بوشوشة بن جمعة،اتجاهات الرّواية في المغرب العربي، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار- تونس، ط01، 1999، ص ص 682/679.
- بوشوشة بن جمعة، سردية التجريب وحداثة السردية في الرّواية العربية الجزائرية الحديثة، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار- تونس، ط01، 2005، 291/285.
- بالإضافة إلى ما استطعنا جمعه من نصوص روائية صدرت في الفترة مابين (1990-2010).